في طلب الدنيا مثل من يطفي النار بالحلفاء ومثل من يغسل يده من الغمر بالسمك وقال ابو سليمان نفس
فقير دون شهوة لا يقدر عليها افضل من عبادة غني الف عام وقال رجل لبشر بن الحارث ادع الله عز وجل
لي فقد اضر بي العيال فقال اذا قال عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله لي في ذلك الوقت فان
دعاءك افضل من دعائي وكان يقول مثل الغني المتعبد مثل روضة على مزبلة ومثل الفقير المتعبد
مثل عقد الجوهر في جيد الحسناء وكانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الاغنياء وقد قال الصديق رضي الله عنه
اللهم اني اسالك الذل عند النصف من نفسي والزهد فيما جاوز الكفاف واذا كان مثله في كمال حاله
يحذر من الدنيا ووجودها فكيف يشك في ان فقد المال اصلح من وجوده وما ذكره ابن عطاء من ان الغني
وصف الحق فهذا افضل صحيح ولكن اذا كان العبد غنيا عن وجود المال وعدمه جميعا بان يستوي عنده
كلاهما فاما اذا كان غنيا بوجوده ومفتقرا الى بقائه فلا يضاهي غناه غنى الله تعالى لان الله عز وجل
غني بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور ان يسرق وما ذكر في الرد عليه من ان الله عز وجل
ليس غنيا بالاعراض والاسباب صحيح في ذم غني يريد بقاء المال وما ذكر من ان صفات الحق لا تليق بالعبد
غير صحيح بل العلم من صفاته وهو افضل شيء للعبد بل منتهى العبد ان يتخلق باخلاق الله عز وجل وقد
سمعت بعض المشايخ يقول ان سالك الطريق الى الله عز وجل قبل ان يقطع الطريق تصير الاسماء التسعة
والتسعون اوصافا له اي يكون له من كل واحد نصيب واما التكبر فلا يليق بالعبد فان التكبر على من ليس
من صفات الله عز وجل واما التكبر على من يستحقه كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والمطيع
على العاصي يليق به نعم قد يراد بالتكبر الزهو والصلف والايذاء وليس ذلك من وصف الله وانما وصف
الله عز وجل انه اكبر من كل شيء وانه يعلم انه كذلك والعبد مامور بان يطلب اعلى المراتب ان قدر عليه
ولكن بالاستحقاق كما هو في حقه لا بالباطل والتلبيس فعلى العبد ان يعلم ان المؤمن اكبر من الكافر
والمطيع اكبر من العاصي والعالم اكبر من الجاهل والانسان اكبر من البهيمة والجماد والنبات واقرب الى الله

منها فلو راى نفسه بهذه الصفة رؤية محققة لا شك فيها لكان صفة الكبر حاصلا له ولائقا به
وفضيلة في حقه الا انه لا سبيل الى معرفته فان ذلك موقوف على الخاتمة وليس يدري الخاتمة كيف تتفق
لجهله بها وجب ان لا يعتقد لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر اذ ربما يختم للكافر بالايمان ويختم له
بالكفر فلم يكن ذلك لائقا به لقصور علمه عن معرفة العاقبة ولما تصور ان يعلم الشيء على ما هو به كان
العلم كمالا في حقه لانه من صفات الله عز وجل ولما كان معرفة بعض الاشياء قد يضره صار ذلك
العلم نقصانا في حقه اذ ليس من اوصاف الله علم يضر فمعرفة الامور التي لا ضرر فيها هي التي تتصور
في العبد من صفات الله فلا جرم هو منتهى الفضيلة وبه فضل الانبياء والاولياء والعلماء
فاذا استوى عنده وجود المال وعدمه فهو نوع من الغنى يضاهي بوجه من الوجوه الذي يوصف به
الله عز وجل فهو فضيلة اما الغنى بوجوده فلا فضيلة فيه اصلا فهذا نسبة حال الفقير القانع

الى حال الغني الشاكر المقام الثاني في نسبة حال الفقير الحريص الى الغني الحريص

ولنفرض ذلك في شخص واحد وهو طالب للمال وساع فيه وفاقد له ثم وجده فله حالة الفقر
وحالة الوجود فاي حالتيه افضل فنقول ينظر ان كان مطلوبه ما لا بد منه في المعيشة وكان
قصده ان يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه فحال الوجود افضل لان الفقر يشغله
بالطلب وطالب القوت لا يقدر على الذكر والفكر الا قدرة مدخولة بشغل والمكفي هو القادر
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال كاد الفقر ان يكون كفرا اي الفقر مع
الاضطرار فيما لا بد منه وان كان المطلوب فوق الحاجة او كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن
المقصود الاستعانة على سلوك السبيل فحالة الفقر اصلح وافضل لانهما استويا في الحرص وحب المال
واستويا في ان كل واحد ليس يقصد به الاستعانة على الطريق فاستويا في ان كل واحد ليس
يتعرض لمعصية بسبب الفقر والغنى ولكن افترقا في ان الواجد يانس بما وجد فيتاكد حبه في قلبه ويطمئن

Copyright © King Saud University